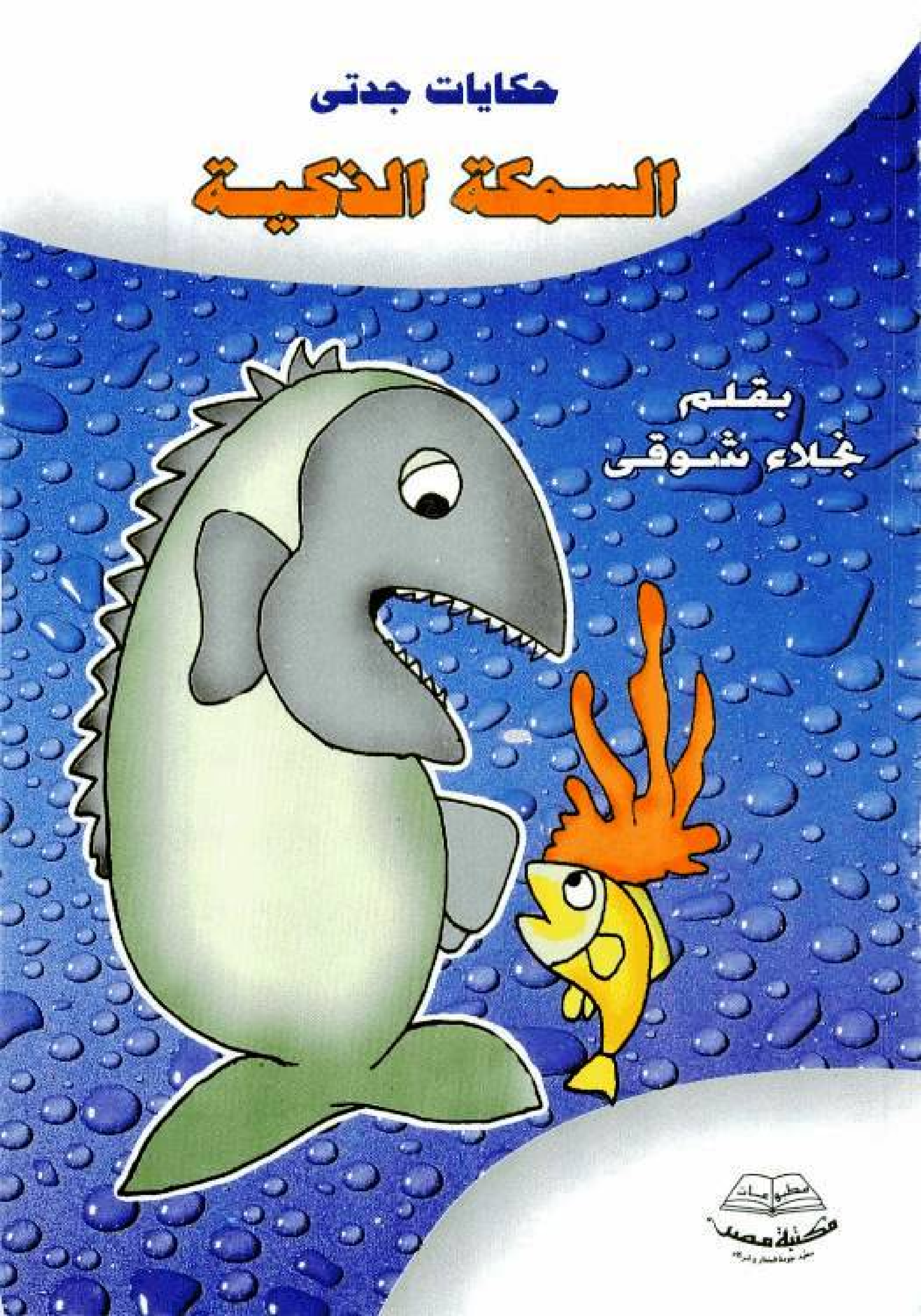

حكايات جدتى
السمكة الذكية
بقلم
غلاء شوقى
مطبوعات
مكتبة مصر

السمكة الذكية

في مجرى النهر ، وفي بقعة حيث تكثر الصخور فتعترض تدفق المياه في سهولة ، وتمر مختنقة في فرعين أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار ، اختارت سمكة كبيرة اسمها « ملكة الأنهار » مكانا لها في الفرع إلى اليمين تختفي فيه وراء إحدى الصخور ترقب بعينيها البراقتين الأسماك الصغيرة وهي تمر من بين الصخور ، فتتلقفها بفمها وتبتلعها في طرفة عين .

وكان من اليسير على الأسماك الصغيرة أن تتجنب المرور من هذا المكان حتى لا تقع فريسة سهلة للسمكة المفترسة « ملكة الأنهار » ، لولا أن هناك في الفرع إلى اليسار من النهر منعطفا ضيقا تختبئ

وراء كمين صنعته من الحشائش ، سمكة أخرى عملاقة اسمها « سلطانة البحار » ، تبتلع كل ما يمر في هذا المنعطف من الأسماك الصغيرة . وهكذا لا تستطيع هذه الأسماك الصغيرة أن تعبر سالمة إلى مجرى النهر المنبسط الواسع ، حيث تتجمع الأسماك في العادة .

ولما اشتدت الحال بالأسماك الصغيرة ، راحت تتشاور فيما بينها ، ماذا تعمل للخلاص من هذا الخطر الذى يتهددها ، واتجهت بأنظارها إلى زعيمها الذى اختارته وكان أقواها جسما وأخفها حركة وأكثرها ذكاء .

قال زعيم الأسماك الصغيرة : ليس أمامنا أيها الرفاق إلا أن ننتظر ، فأنا أعلم أن كلاً من السمكتين الكبيرتين تتربص بالأخرى ، فتظهر لها العداوة ،



وتتحين الفرص للإيقاع بها حتى تتغلب عليها وتفترسها .

قالت الأسماك الصغيرة : وإلى متى ننتظر ؟ فنحن لا نستطيع أن ننتظر حتى تبدأ المعركة التى نترقبها بينهما ، فسوف يموت أكثرنا قبل ذلك .

أطرق زعيم الأسماك الصغيرة يفكر ، وفجأة برقت عيناه ورفع رأسه وقال :

ـ إن السمكتين العملاقتين « ملكة الأنهار » و« سلطانة البحار » تهددانا بالموت فى كل دقيقة ، فالحرب بيننا وبينهما قائمة ، والرأى عندى أيها الرفاق أن نواجههما بالسلاح الذى نملكه ، وعلى كل من يستعد للحرب ، أن يستعمل السلاح الذى فى يده .

تبادلت الأسماك الصغيرة النظرات فيما بينها ، فهى

تعلم أنها لا قدرة لها على حرب السمكتين الكبيرتين « ملكة الأنهار » و« سلطانة البحار » .

واستمر زعيم الأسماك الصغيرة فى كلامه : إن الحرب خُدعة ، ولن يكلفنا السلاح الذى أفكر فى استعماله فى هذه الحرب ، إلا خسارتنا فردا واحدا منا فقط ، هو الذى يتصدى للقيام بهذه المهمة ، ويقبل أن يضحى بنفسه طواعية فى سبيل خلاص الآخرين ، فمن منكم يتقدم ليفوز بهذا المجد العظيم ؟

وسكتت جميع الأسماك الصغيرة كأنما على رءوسهن الطير . وبعد فترة ارتفع صوت سمكة صغيرة جريئة :

ـ أنت وحدك يا زعيم من يستحق هذا المجد العظيم ، فأنت قائدنا وزعيمنا ، ومن العدالة إذا كان فى المخاطرة مجد ، أن يكون لك أنت وحدك هذا المجد .

قلب الزعيم نظره فى الأسماك الصغيرة فوجدها ترتعد فزعا ورعبا ، فملأت روح الزعامة قلبه ، وقرر أن ينهض بنفسه بالأعباء الخطيرة التى ألقتها تلك الزعامة على كاهله ، وراح يصدر أوامره :

– عليكم جميعا أيها الرفاق أن تتوجهوا فى الحال وتتكدسوا عنه ضفتي النهر ، وتفسحوا ممرا واسعا في وسط الفرع ، وليحذر أى فرد منكم أن يخالف أوامرى ، فحياتكم كلكم رهن بإطاعتها .

قال هذا وانطلق من فوره إلى مكان السمكة العملاقة « ملكة الأنهار » وصاح : أيها السمكة الجبارة يا « ملكة الأنهار » ، يا من يهابك الكبير قبل الصغير .. إننى أحمل إليك رسالة تحذير من كبيرة الأسماك « سلطانة البحار » ..

انتفضت السمكة العملاقة « ملكة الأنهار » عند



ذلك ، وانطلقت من عينيها شرارات الغضب وصرخت فيه :

- من هذه التى تجرؤ على أن تتحدانى وتشاركنى فى ملكى ؟ ومن تكون أنت أيها الغبىّ الحقير الذى تحمل إلىّ رسالته الوقحة ؟

فتظاهر زعيم الأسماك الصغيرة بالهدوء ، بينما ترتعد فرائصه خوفا وهلعا وقال :

- إن مولاتى « ملكة الأنهار » التى أرسلتنى إليك سفيرا ، لن تغفر لك تلك الإهانة التى توجهينها إليها فى شخص سفيرها الضعيف .

ازداد الغضب بالسمكة العملاقة « سلطانة البحار » ، وانفجرت فيه تقول :

- اخرس أيها الوقح . من يكون هذا الذى يملك أن يغفر لى أو لا يغفر ؟

أنا هنا « سلطانة البحار » وأنا سيدة على كل الأسماك ، والويل لها إن فكرت يوما أن تتحدانى ، فسوف أسحقها وأنزل بها أشد أنواع العذاب . وإنى منتظرة قدومها الآن لأريها من منا هو صاحب السلطان .

وهكذا استعدت « سلطانة البحار » للمواجهة المنتظرة ، بينما انطلق زعيم الأسماك الصغيرة من أمامها واتجه من فوره إلى السمكة العملاقة « ملكة الأنهار » وهو يصيح :

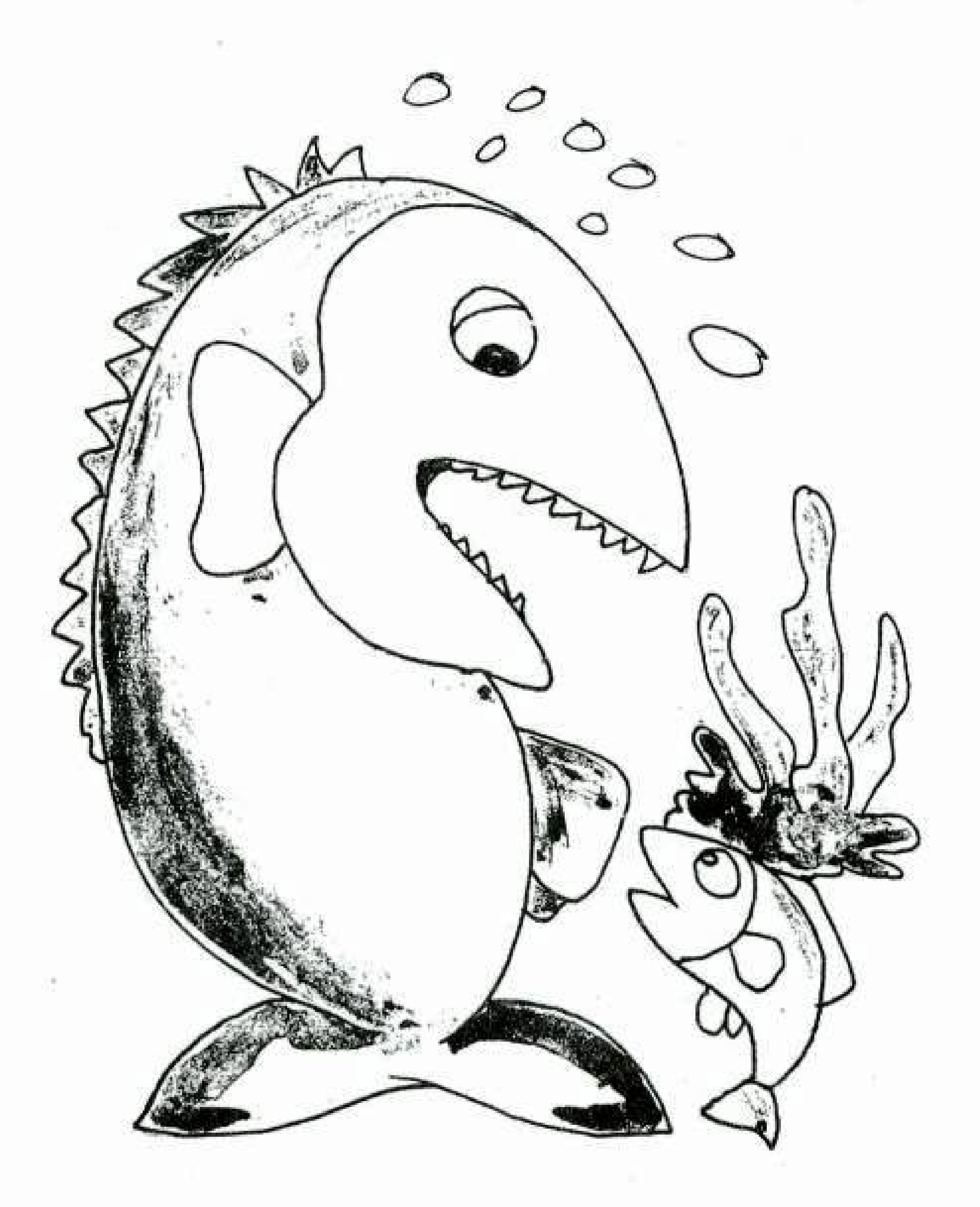
ـ استعدى يا « ملكة الأنهار » فإن « سلطانة البحار » قادمة إليك لتنزل بك أشد العقاب ، لتطاولك عليها وانتقاص سلطانها ومحاولتك انتزاع

مساحة كبيرة من النهر منها لتسيطرى عليها . وقد صممت أن تقتلك إن أنت حاولت أن تزهى بنفسك وعمدتِ إلى مقاومتها .

برقت عينا « ملكة الأنهار » غضبا وقالت :

ـ لتخسأ سلطانتك المزعومة وإنى منطلقة إليها لألقنها درسا لن تنساه أبدا ، ولتعلم أن الموت جزاء كل من يدعى الملك والسيطرة على كل الأسماك سواى .

وقبل أن تخترق « سلطانة البحار » الماء إلى غريمتها ، أسرع زعيم الأسماك الصغيرة إلى شعبه وأصدر أمره إلى الأسماك الصغيرة بالابتعاد عن ميدان



المعركة المنتظرة والاختباء فى الحشائش والأعشاب على جانبى النهر .

واقتربت « سلطانة البحار » من الميدان ، كما اقتربت منه « ملكة الأنهار » ، ولم تلبثا أن نشبت بين الاثنتين معركة عنيفة ، وسط الميدان الذى أخلته الأسماك الصغيرة لتفسح المجال لصراع العمالقة .

وراح الخصمان يتقاتلان ويتضاربان ويندلع الشرر من أعينهما وقد فغرت كل منهما فاها لتبتلع غريمتها .

وصدقت « سلطانة البحار » فقد كانت أقوى من غريمتها ، ففتحت فاها عن آخره لتبتلعها ، ودخل أكثر جسم « ملكة الأنهار » الضخم فى فمها ،



ولكنها لم تستطع أن تبتلعه أو أن تلفظها ، وانتهى بهما الأمر أن ماتا كلاهما ، وبذلك تحررت الأسماك الصغيرة من تحكمهما فيهن . وكان الفضل كل الفضل فى نجاتهن من الوقوع فرائس لهما إلى ذكاء زعيمهن ، الذى دبر الخطة الحكيمة التى انتهت بهلاك عدوتيهما كلتيهما معا !